نَسَقِيَّةُ التَّلاحُقِ الفِعْلِيِّ في لاميّةِ ابنِ العَرَنْدَسِ الحِلِّي

م . حسين جعفر عبيد
المديرية العامة لتربية بابل

يجتهد هذا البحث في بيان معنى التلاحق الفعلي الذي يدلّ على مجيء الفعل إثْرَ الفعل، عند شاعر من شعراء العرب المفوَّهين هو ابن العَرَنْدَس الحِلِّي ، وكذلك أثر القرائن الأُخَر كالسِّياق، وقرائن الحال، والمقام، وغيرها في المعنى، فمن دلالات التّلاحق (التتابع، والتدارك، والترادف، والتوالي)، وأنّ النحويين استعملوه بمعنى التبعيّة والاتباع في مؤلفاتهم. وجاء التّلاحق الفعليّ في القصيدة اللاميّة؛ لإنجاز أفعالٍ ذواتِ حمولاتٍ دلاليّةٍ متناسقةٍ ومترابطةٍ تدلّ على الاستفهام والنِّداء والمدح والتّأكيد والمبالغة، فضلًا عن دلالات التَّجَدُّدِ والحدوث. وأنّ التحوّل في الصِّيغ الفعليّة أدَّتْ إلى ظاهرة تقليب الكلام وتعدُّد الأوجه الدلاليّة، وقد استعمل الشاعرُ بعض الأفعال المتلاحقة المبنية للمجهول، وهو واحد من الأساليب المهمّة التي كان يميل إليها العربي دون الخلل بالمعنى، والتلاحق في الأفعال المتشابكة يكونُ لنوع خصوصية اقتضت ذلك ولا يؤدِّيها إلّا مَنْ له خبرة ومعرفة بأساليب الفصاحة والبلاغة. ولاريبَ أنّ ابن العَرَنْدَس الحِلِّيِّ من قد خَبَرَ اللغة والنحو والبلاغة، لذا جاءت قصيدته اللاميّة مُكلَّلة بأنواع الأساليب النّحويّة والفنون البلاغيّة التي كان لها الأثر في خلود هذه القصيدة .

الكلمات المفتاحيّة :
النّسقِيّة ، التلاحق ، التتابع ، ابن العرندس ، التّوالي ، التّدارك.

Systemic Verbal Appending for Lamiat of Ibn Al-Arandas Al-Hilli Syntactic-Semantic Study

Lecturer. Hussien Jaafer Aubeid
Directorate General of Education in Babil

Abstract

This research aims to clarify the meaning of verbal appending, which indicates the advent of a verb after a verb, according to one of the articulate Arab poets Ibn Al-Arandas Al-Hilli, as well as the effect of other clues such as context, adverb clues, denominator, and others in meaning and the semantics of appending (tandem, rectify, synonym, and sequence), and that the grammarians used it in the sense of subsequent subordination in their writings.

The verbal appending came in Lamiat poem; to accomplish verbs with coordinated and interrelated semantic assumptions that indicate questioning, appeal, praise, affirmation and exaggeration, as well as connotations of renewal and occurrence. And that the shift in the actual forms led to the phenomenon of permutation of speech and the multiplicity of semantic aspects, and the poet used some appending verbs based on the passive, which is one of the important methods that Arabian was inclined to without the imbalance in meaning, and the appending in interrelated verbs is a type of propriety necessitated that and only those who He has the experience and knowledge of rhetoric and eloquence methods. There is no doubt that Ibn Al-Arandas Al-Hilli was the one who was well-versed in the language, grammar and rhetoric, so his Lamiat poem was full of all kinds of grammatical methods and rhetorical arts that had an impact on the immortality of this poem.

Keywords: systemic verbal appending, tandem, sequence, Ibn Al-Arandas, rectify, synonym)

المقدِّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمينَ والصلاة والسلام على نبيِّنا محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين

أمّا بعدُ

فقد عُني علماء العربية لغويين ونحويينَ وبلاغيينَ بالنَّحو والمعنى عناية مؤكَّدة، والحقُّ أنَّ أفكارهم ومباحثهم في هذا الشّأن تمثِّل عملًا متقدِّمًا ورائدًا يستحقُّ منّا النظر إليه بنظرةِ احترامٍ وتعظيمٍ واعتزازٍ. واهتموا بالنّحو أيّما اهتمام ومؤلفاتهم ومصنّفاتهم دليلٌ على هاته الأهمية، وكذلك فإنّ المعنى هو الأساس في أيَّةِ دراسةٍ لغويةٍ جادةٍ، فكلُّ دراسةٍ في أيِّ فرعٍ من فروع اللغة إنّما تهدف إلى فهم المعنى وتحديده.

وقد شهد العصر الحديث تطوّر الدّراسات اللغوية ونموّها، فأصبح المعنى مستوًى من مستويات التحليل اللغوي أُطلِق عليه المستوى الدَّلالي، وبتوسُّع العلوم وتفرعها أصبح لهذا المستوى علم مخصص به أُطْلِق عليه(علم الدّلالة) وهو من أوسع علوم اللغة وأدقّها.

فالدّلالة هي البحر الذي تصبُّ فيه جميع فروع الدراسات اللغوية من صوت وصرف ونحو. وقد استطاعت مناهج هذا العلم أنْ تزيل الحدود الفاصلة بين كثير من العلوم والمعارف، وابن العَرَنْدَس واحدٌ من الشعراء العرب المفَوَّهِينَ الذين طغى على شعرهم الحبّ والولاء والعشق لأهل البيت عليهم السلام ، وقد فاضت أشعاره بألفاظٍ تَشِي بهذه المحبَّة والولاء والعشق، زِدْ على ذلك أنّه خبيرٌ بفصاحة الكلام من جهة صوته وصرفه ونحوه ودلالته وبلاغته. وتأسيسًا على ذلك عُقِدَ هذا البحث ليدرسَ ظاهرةً لغويّةً بارزةً في ديوان ابن العَرَنْدَس الحِلِّيِّ وهي ظاهرة التلاحق الفعليِّ، ونعني بها مجيء الفعل إثْرَ الفعل، ولم يأتِ اتفاقًا، بل عن قصدٍ منه وإرادةٍ لأغراضٍ ودلالات يحاول هذا البحث تلمّسَها والوقوف عليها في قصيدةٍ لاميّةٍ مَدَح بها الإمام

الحسين عليه السلام ورثاه وأهل بيته الكرام وما جرى عليهم في كربلاء. تألّف من تمهيدٍ ومبحثينِ وخاتمةٍ، درستُ مضمونَ التمهيد في مطلبين، الأول: تحدثتُ فيه عن صالح ابن العَرَنْدَس مؤشرات تعريفيّة: اسمه ونسبه، ووفاته ومرقده، والثاني: وضحّتُ فيه مفهوم النَّسقيّة والتلاحق لغةً واصطلاحًا، والمعاني التي يأتي عليها التلاحق، وهي(التتابع، والتّواليّ، والترادف، والتدارك)، والمبحثِ الأول حَمَل عنوان: نَسَقِيَّةُ التلاحق الفعليّ في الأفعال المتشابهة في القصيدة اللاميّة؛ أي المتّفقة في الزمن ، وتناولته في مطلبين، أحدهما: الفعل الماضي الذي لحقه فعلٌ ماضٍ، والآخر: الفعل المضارع الذي لحقه فعلٌ مضارعٌ. وخصصتُ المبحث الثانيّ بدراسة نَسَقِيَّةِ الأفعال المتشابكة في القصيدة اللاميّة؛ أي المختلفة في زمنها وربما في دلالتها، ووظفتُ ذلك في مطلبين، الأول: تناول الفعل الماضي الذي لحقه فعلٌ مضارعٌ، والثاني: تناول الفعل المضارع الذي لحقه فعلٌ ماضٍ، ثمَّ خاتمة بما توصّل إليه البحث من نتائج، وقائمة بعنوانات مصادر البحث ومراجعه .

التمهيد :

أولًا : صالح ابن العرندس الحليّ : مؤشراتٌ تعريفيّة

أ- اسمه ونسبه:

جاءت ترجمة ابن العرندس حياته مُقتَضبةً في ذِكْر عشيرته ونَسَبِه ومكانِ ولادته ونشأته ودراسته وشيوخه وتلامذته ، وهو ما حرمنا من الوقوف الكامل على سِيْرة الشاعر الذي أخذ شِعرُهُ مساحةً واسعةً من الإعجاب والإنشاد والحفظِ، وما زال يُتْلَى في المحافل الدِّينيّة[١] .

ومن الذين ذكروا فضله وأبانوا منزلته العلميّة والأدبية الشيخ محمد السّماويّ(ت ١٩٥٠ هـ) قال: « الشيخ صالح ابنُ العَرَنْدَس كان عالمًا فاضلًا مشاركًا في العلوم تقيًّا ناسكًا »[٢]، وكذلك ذكره الشيخ محمد اليعقوبي فقال: « كان عالمًا ناسكًا متضلِّعًا في علمي الفقه والأصول وغيرهما مصنِّفًا»[٣]، فضلًا عن ذلك فقد بيّن فضله السَّيِّد هادي كمال الدِّين، فذكر أنّه الشيخ صالحُ بنُ عبد الوهابِ ابن العَرَنْدَسِ من أعلام الشيعة في الفقه الأصول، وهو في مضامير الشِّعر فَحْلٌ من الفحُول، ..، فهو أوحَدُ عصرِهِ ومَفْخَرةُ مِصْرِهِ، أدَبًا ونُسْكًا وعِلْمًا وذكاءً وفِطْنَةً وفَهْمًا، تشهَدُ بما له من ألمَعِيَّةٍ داليتُهُ الغَرَّاءُ واللاميَّةُ[٤] . زيادة على ذلك أنّ عددًا من المؤرخين أثنوا عليه، وبيّنوا منزلته العلميَّة والأدبية في مؤلَّفاتهم[٥].

ب- وفاتُهُ ومَرْقَدُهُ :

تُوفِّيَ في الحِلَّة الفيحاءِ ، واختُلِفَ في تاريخ وفاته ، فذكر الشَّيخ محمد عليّ اليعقوبيّ أنّ وفاتَهُ في حدود التسعمئة للهجرة[٦] ، أمّا الشيخ محمد طاهر السّماويّ، فذكر أنّ وفاته سنة ٨٤٠ هـ[٧] . ومرقدُهُ في الحلّة ، قال الشيخ محمد حرز الدّين (ت ١٣٦٥هـ): « مرقدُهُ في الحِلَّة السّيفيّة في حجرةٍ صغيرةٍ عليه قُبَّةٌ مثلُها»[٨] .

ثانياً : مفهومُ النّسَقِيَّةِ والتَّلاحُقِ مُقاربةٌ تأْصِيلِيَّةٌ :

١ – لغةً :

عنـد استشـارة المعاجم اللّغوية للجـذر اللغويّ للنَّسـقيّة (ن س ق) نجد أنّه يدلُّ على التتابع والعطف ، قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : « النُّونُ وَالسِّـينُ وَالْقَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَتَابُعٍ فِي الشَّيْءِ ، وَكَلَامٌ نَسَقٌ : جَاءَ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ قَدْ عُطِفَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَصْلُهُ قَوْلُهُمْ : ثَغْرٌ نَسَـقٌ ، إِذَا كَانَتِ الْأَسْـنَانُ مُتَنَاسِـقَةً مُتَسَاوِيَةً »[٩]. أمّا التلاحُقُ فجاء على معانٍ متعددة نعرضُها كما يأتي :

أ- التتابع :

ذكر ابن منظور (ت ٧١١هـ) أنّ معنى التلاحق التتابع، قال : « تَبِعَ الشيءَ تَبَعًا وتَباعًـا في الأفعـال ، وتَبِعْتُ الشَّيء تُبوعًا : سِرْتُ فِي إِثْـرِه ؛ واتَّبَعَه وأَتْبَعَهُ وتتَبَّعَهُ قَفاهُ وتَطلَّبَـهُ مُتَّبِعًا له وكذلك تتَبَّعَهُ وتتَبَّعْتُـهُ تتَبُّعًا»[١٠]، وقال الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) « تَبِعَهُ، تَبَعًا وتَباعةً : مَشَى خَلْفَهُ ، ومَرَّ به فَمَضَى معه »[١١] .

ب- التوالي :

قـال الجوهـريُّ (ت ٣٩٣ هــ) : « تِلْو الشَّيءِ : الذي يتلـوه ، وتِلْوُ النّاقةِ : ولَدُها الـذي يتلوهـا ... وتَلَوْتُ القُرْآنَ تِـلاوَةً ، وتَلَوْتُ الرَّجُلَ أَتْلوهُ تُلُـوًّا، إذا تَبِعْتَهُ »[١٢] ، و ذكـر ابـن فـارس (ت ٣٩٥ هـ) أنّ الجـذر اللغوي للّفظة هو الاتّباع ، قـال : « التَّاءُ وَاللَّامُ وَالْوَاوُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الِاتِّبَاعُ ، يُقَالُ : تَلَوْتُهُ إِذَا تَبِعْتَهُ ، وَمِنْهُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُ يُتْبِعُ آيَةً بَعْدَ آيَةٍ »[١٣] .

ج- الترادف :

قال الأزهريُّ (ت ٣٧٠هـ): « ردف: قَالَ اللَّيْث: الرِّدْفُ مَا تَبع شَيْئًا فَهُوَ رِدْفُه، وَإِذا تَتابَـع شيءٌ خلْـفَ شَيْء فَهُـوَ الـتَّرادُف»[١٤] ، وذهـب إلى مثل ذلـك ابن فارس

عندما قال : « الرَّاءُ وَالدَّالُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ يَدُلُّ عَلَى اتِّبَاعِ الشَّيْءِ ،فَالتَّرَادُفُ: التَّتَابُعُ » [١٥] .

د- التدارك :

قال ابن منظور (ت ٧١١هـ) :« لَحَقَ: اللَّحْقُ واللُّحُوق والإِلْحاقُ : الإِدراك ، لَحِقَ الشيءَ وأَلْحَقَهُ وَكَذَلِكَ لَحِقَ بِهِ وأَلْحَقَ لَحاقًا، بِالْفَتْحِ، أَيْ أَدْرَكَهُ » [١٦] .

وفي ضوء معاينة ما تقدّم يرشَحُ أنَّ التَّلاحُقَ يَدُلُّ على التتابع والتَّوالي والتدارك، وأنّ التلاحق في ضوء النّصوص المذكورة آنفًا جاء بمعنى المتابعة أو التتابع ما يدلّ على أنّه أقرب المصطلحات إلى التلاحق.

٢- اصطلاحًا :

في ضوء مراجعة كتب اللغة والنّحو وفي حدود اطلاعي لم أجد تعريفًا اصطلاحيًّا يخص التلاحق، وقد وجدتُ مَفهومَهُ في المعجمات اللغوية، وفي ظلِّ ذلك فإنّ التلاحق هو أنْ تلحق لفظة أخرى في النّص اللغويّ ؛ لأجل استقامة التركيب اللغوي والنحويّ، فضلًا عن زيادة دلالات أُخَر صوتيّة وصرفيّة ونحويّة، ولأجل ذلك قد يستلزم أنْ يُزاد إلى اللفظ شيء ما؛ ليدخل اللفظ في حكم اللفظ الآخر، وأنّ التلاحق يأتي بمعنى المتابعة أو التتابع ما يدلّ على أنّه أقرب المصطلحات إلى التلاحق[١٧]. ومما يحسُنُ قوله إنّ الإلحاق يأتي بمعنى الاتباع، من ذلك قول ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) في مقدمة الشافية : « سألني من لا يسعني مُخالفته أنْ ألحق بمقدمتي في الإعراب مقدمة في التصريف»[١٨]، وإلى ذلك أيضًا أشار ابن مالك (ت٦٧٢هـ) في ألفيته قائلًا:

وَشِبْهِ ذَيْنِ وَبِهِ عِشْرُونَا

وَبَابُهُ أُلْحِقَ وَالْأَهْلُونَا[١٩]

أراد أنّ هذه الألفاظ وبابها تَبِعَتْ في حكمها جمع المذكر السالم.

والـذي يظهـر ممّا تقـدّم أنّ مصطلـح التلاحق كان شـائعًا في اسـتعمالات القدماء بمعنى التبعيّة؛ أي يدخل اللفظ في تبعيّة غيره في الحكم، ولأجل ذلك قد يستلزم أنْ يُزاد إلى اللفظ شيء ما؛ ليدخل التابع في حكم المتبوع.

المبحث الأوّل : نسقيَّةُ الأفعالِ المُتشابهةِ في القصيدةِ اللّاميَّة :

في هذا المبحث سنبرُقُ بتبيان الأفعال المتشابهة التي وردت في قصيدة ابن العَرَنْدَس اللاميـة؛ إذ جاء الفعل الماضي يلحقه فعلٌ مـاضٍ، وجاء الفعل المضارع ويلحقه فعلٌ مضارعٌ، وكما يأتي :

أوّلًا : الفعل الماضي بعده فعلٌ ماضٍ :

١ – سَلَبَ الفؤاد بِنَاظرٍ في فَتْرَةٍ فِيها حَرَامُ السِّحْرِ باتَ مُحلّلَا [٢٠]

ترشَـحُ للفعل (سـلَبَ) دلالـة الزمـن المـاضي المُطلَـق؛ إذ هو خالٍ مـن القرائن التـي تقلِـبُ دلالته الزمنيّة إلى دلالة أخرى ، قال سـيبويه : « فأمّا بِناءُ ما مضى فذَهَبَ وسَـمِعَ ومَكَثَ وحُمِدَ »[٢١] وهنا إشـارة إلى بناء (فَعَلَ) الـذي يختصُّ بالماضي، إذ ربط بـين الصيغـة والدلالـة الزمنية، وذكر ابـن يعيش(ت٦٤٣هـ) أنّ الفعـل الماضي هو: « مـا عُـدم بعد وجوده، فيقـع الإخبار عنه في زمـانٍ بعد زمانِ وجـوده »[٢٢]، فصيغةُ نقْلِ الأخبارِ تكْمُنُ في الفعل نفسه؛ لأنّه يُخْبَر عنه في زمن غير زمن وقوع الحدث[٢٣]، وكذلـك فإنَّ الصيغةَ المفردةَ للفعل الماضي (فَعَـلَ) تدلّ على حدث أُنْجِزَ وتمّ في زمن ماضٍ[٢٤]، وهذا الحَدَثُ يمكن أنْ يُخْبَر عنه بالحاضر في ضوء سَرْدِ الحِكاية التي يكون فيها الحاضر:« أكثر تعبيرًا أَو أَبلغ وَصفًا حتَّى ليجعل المنظر يحيا من جديد أمام عيني القـارئ ويرجـع بفكرنـا إلى اللحظة التي دار فيهـا الحدث»[٢٥]. إنّ الدّقـة المتناهية في اختيـار الصِّيَـغ لم تكُـن من فراغ، بـل كان لقصدٍ يُـراد منه مَدْحُ الإمام الحسـين عليه السلام، وألْحَـقَ ابـنُ العَرَنْدَس الفعل الماضي (سَـلَبَ) بفعلٍ يشـابهه في الصيغة يختلف معه في

الدّلالة هو الفعل الناسخ (باتَ)؛ إذ الغاية من إدخال الزّمن الماضيّ بوساطة الناسِخ الفِعليّ (باتَ) تحويل الزمن المضارع على وفقِ صيغته إلى ماضٍ، ومِنْ ثَمَّ تتضح القيمة الدّلاليّة لإيراد الناسخ، وهي إثبات الصِّفات المحمولة بأخبارها في الماضي وتأكيد استمرارها في الزمن الحاضر والمستقبل[٢٦].

٢- والسَّيِّدُ العبَّاسُ قَدْ سَلَبَ العِدَى عَنْهُ اللِّباسَ وصَيَّرُوْهُ مُجَدَّلًا [٢٧]

يُعَدُّ الفعل الماضيّ في أصل وضعه من أكثر الافعال تأكيدًا؛ لأنّه يدلّ على زمنٍ انقضى، فالفعل كائنٌ وتامٌّ والجِهَة فيه ثابتةٌ والحدثُ قدْ حصل، زِدْ على ذلك أنّه قدْ يُراد بالماضيّ الزِّيادة في التأكيد والإثبات بالفاعل، ومن ذلك مجيؤُهُ مسبوقًا بالحرف(قد) التي تفيد معاني ثلاثة ، هي التحقيق والتوقُّع والتقريب، والتحقيق هو المعنى الأوّل الملاصق لها، فضلًا عن ذلك أنّ النحويين قصدوا بالتحقيق معنى التأكيد؛ لأنّ الفعل قائمٌ بصيغة الفعل التي هي (فَعَلَ) وإنّما جاءت (قد) لتؤَكِّد هذا المعنى[٢٨]. وأردف الشاعر الفعل الماضي بفعلٍ ماضٍ ناسخٍ(صيّر) الذي يدلّ على إثبات الصِّفات المُخْبَرِ عنها، والشاعر يريد أنّ العبّاس عليه السلام صرَعَهُ الأعداءُ على أرضٍ شديدةِ الصَّلابةِ وهي ذاتُ رملٍ دقيقٍ، وقد سلبوا عنه لباسه، واستعمل الشاعر(قد) لتأكيد هذا الأمر؛ لأنّ الأعداء لم يستطيعوا أنْ يقربوا العبّاس وهو حيٌّ لشجاعته وهيبته، ولذلك قاموا بالسّلْب في مصرعه لتحقيق ما عجزوا عنه في حياته. إنّ نَسَقِيّة التتابع الفعلي مهمّة في التعبير الأدبي؛ إذ يقصدها الشاعر لإحداث التأثير المطلوب في المتلقيِّ، فتركيب الجملة الشعريّة يكون أكثر توهّجًا باستعمال الأساليب البليغة التي تعبّر عن المعنى المقصود، ثُمَّ إنّ هذا التركيب يكشف بشكلٍ دقيقٍ عن الصورة النفسيّة التي أصبح عليها السيّد العبّاس عليه السلام بعد أنْ سَلَبَ العَدُوُّ ثِيَابَهُ ، وصارَ صَريعًا وهو الهمام ابن الضيغم البطل ، وهو أُسلُوبٌ أبلغُ في رسم المعنى أو التعبير عنه[٢٩] .

واختار ابن العَرَنْدَس التتابع الفعلي في شعره دون غيره؛ لأنّ الفعل رأسٌ معجميٌّ له

سماتٌ صرفيّة وتركيبيّة ودلاليّة، وبعدِّ الفعل رأسًا معجميًّا فإنّه يختزنُ المعاني الذاتيّة والخصائص التركيبيّة والدلاليّة والمقوليّة والصّرفيّة، فالفعل يشكِّل قطب الجملة؛ لأنّه هو الذي يتضمّن العناصر المحوريّة في البنية العميقة؛ فالأفعال تمثِّل مقولات معجميّة تحملُ معانيَ ووقائعَ مختلفة باختلاف السِّياق التركيبي الذي ترِدُ فيه[٣٠] .

٣- وأَتَوا إلى قَتْلِ الحُسَيْنِ وَأَجَّجُوا نَارًا لِهَيْبُ ضَرَامِهَا لَنْ يُصْطَلَى[٣١]

في ظلّ الناظر الفاحص لِما ورد في البيت الشعريّ المذكور آنفًا نجد أنّ الفعل الماضيّ (أتى) جاء مسندًا إلى ضمير الجمع (الواو)، فيدلّ على أنّ القوم عزموا على قتْلِ الحسين عليه السلام جماعة لا أفرادًا، وألحق الشاعر الفعل الماضي بفعلٍ ماضٍ آخر مُسنَدٍ إلى واو الجماعة (أَجّجَ)، فهؤلاء القوم لم يكتفوا بقتل الحسين عليه السلام بل أضرموا نارًا شديدةً قويةً عاليةً وأوقدوها حتَّى إنَّ لهيبها لنْ يُقاسَ، إنّ الفعل الإنجازيّ الذي أنتجه الشاعر تمَّ في ضوء الإتيان بفعلين متلاحقين مُتَّفقَينِ في الصيغة والزمن ، وقد أنجزا قوةً في القول في ظلِّ الاعتماد على الصِيَغ الكلاميّة التي تستدعي بعض الآثار في المشاعر والأفكار لشخصٍ ما والنيّة والقصْد أو الغرض من إثارة هاته الآثار التي تتحقق بالقول؛ أي ما يصاحب فعل القول من أثرٍ لدى المخاطَب كالإقناع اعتمادًا على معايير القوة الإنجازيّة[٣٢]، وابن العرندس قصَد إثارة المخاطَبين وإشعال نار الغضب على مَنْ قتلوا سِبط النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم، وكذلك فإنّ الشاعر أراد تصوير عشقه للإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه في كربلاء ، هاته الواقعة الأليمة التي أدمت قلوب محبي أهل البيت عليهم السلام على مدى الأزمان، فاللغة الشعرية المدهشة حققت أثرها الأسلوبي والدَّلالي المطلوب في وصف قلق المُحِبِّ ولوعته وألمِهِ وشدَّةِ تعلُّقِهِ، زيادة على ذلك لَفْت انتباه المخاطب لبؤرة النَّص العميقة، وهذهِ السِّماتُ الأُسلُوبيَّةُ المُمَيَّزَةُ أَكسَبَتِ النَّصّ دلالات مؤثِّرة عاطفيًّا وجماليًّا[٣٣]. إنَّ النَّسَقيَّةَ في تَتَابُعِ الأفعال والسِّياق العاطفيّ يحددان درجة القوة والانفعال، مما يقتضي تأكيدًا أو

مبالغـةً أو اعتـدالا[٣٤]، ويغلِبُ على شـعر ابن العرندس هو الـولاء لأهل البيت عليهم السلام ولاسـيّما رثاء الإمام الحسـين عليه السلام، فقد جهد في اسـتعمال مختلف الأسـاليب النحوية والبلاغيّة والدَّلاليّة التي تبيِّن حبَّه وولاءه لهم[٣٥] .

ثانيًا : الفعل المضارع بعده فعل مضارع :

رَشَـحَ للفعـل المضارع دلالات زمنيّة متعـدِّدة، وتحمل كُلُّ صِيغَةٍ مَعانيَ مختلفة، وسـنبحث في هـذا المطلـب الفعل المضارع الـذي يلحقه فعلٌ مضـارعٌ في قصيدة ابن العَرَنْدَس اللاميّة على النحو الآتي:

١ – ظامٍ إلى مَاءِ الفُرَاتِ فإنْ يَرُمْ نَهْلًا يَرَ البِيْضَ الصَّوَارِمَ مَنْهَلا[٣٦]

عنـد النظـر البـاصر إلى مـا ورد في البيت المذكـور آنفًا نجد أنّ الشـاعر يصف شـكوى الإمام الحسـين عليه السلام من قلّـة النّاصِر والمُعِـين في جهاده ضد بنـي أميّة لإعلاء كلمـة الحـقِّ والعمل بشريعة جدِّه مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وهذه الشـكوى توجّـه بها إلى ربّ العباد سـبحانه وتعالى لا إلى غيره، وزيادة على ذلك قَصَـدَ الإمام عليه السلام نهر الفرات وهو ظامٍ؛ لِيَشرب الماء، لكنّه سُـقِي السِّـهام والسّـيوف الصّوارم بدلًا عن الماء، وتوسّل الشاعر في إيصـال المعنى بفعلين مضارعـين متتابعينِ هما(يَرُم، ويرى) في ظلِّ سـياقٍ عاطفيٍّ يمثِّل الانفعاليّة المرتبطة بمستوى القوّة والتّفاعل والتّأكيد والمبالغة، فضلًا عن طبيعة هذا السّـياق وهذه النسّـقية التي تحدّد طبيعة اسـتعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعيّة التي تفيد العموم ودلالتها العاطفيّة[٣٧] . ومما يجب التنبّه له أنّ تتابع الأفعال وتناسقها وتواليهـا لا تكـون صحيحـة إلّا إذا كانـت صـادرة عـن خبـيرٍ بأصول اللغـة مدركٍ للفروق بين التراكيب، ولأثرها في المعاني المختلفة، وأنّ الشـاعر صاغ هذا الأسـلوب صياغةً مقصودةً؛ لتحقيق الغرض المعنويّ الذي يؤديه ولولا هذا لصارت اللغة عبثًا في تراكيبها ينتهي إلى فساد في معانيها[٣٨] .

٢- وَلأَبْكِيَنَّ عَلَى الْحُسَيْنِ بِمَدْمَعٍ قَانٍ أَبَلُّ بِهِ الصَّعِيْدَ الْمُمْحِلا[٣٩]

نبصُرُ أنّ الفعل المضارع (أبكي) اتصلت به نون التّوكيد ، وهي تُخَلِّصُ الفعل للاستقبال ، فإذا كان الفعل دالًّا على الحال لم تدخلْ عليه النّون، قال سيبويه: « وإنْ كان الفعل قد وقع وحلَفْتَ عليه لم تزِدْ على اللام؛ وذلك قولك: والله لفعلت... فالنّونُ لا تدخل على فعلٍ قد وقع ، إنّما تدخل على غير الواجب »[٤٠] . زيادة على أنّ النّون المتصلة بالفعل المضارع من حروف المعاني المرادُ بها التّأكيد، ولا تدخل إلّا على الأفعال المستقبلة خاصّةً وتُؤثِّر في الفعل المضارع تأثيرين: تأثيرًا في لفظه وتأثيرًا في معناه، فتأثيرُ اللفظ إخراجُ الفعل إلى البناء بعد أنْ كان معربًا، وتأثيرُ المعنى إخلاصُ الفعل للاستقبال بعد أنْ كان يصلح للحال والاستقبال[٤١]. والشاعر استعمل الفعل المؤَكَّد لكي يُشْعِرَ السّامعينَ بتمسُّكِه بمضمون كلامه، وتشدُّدِه في التَّنْفيذ والتَّأدية، ولذا زاد النّون المُشَدَّدة على آخر الفعل المضارع، إذ إنَّ زيادتها تفيد معنى الجملة قوةً وتكسبه تأكيدًا وتُبْعِد عنه الاحتمال السّابق، وتجعله مقصورًا على الحقيقة الواضحة من الألفاظ دون ما وراءها من احتمالات[٤٢]. وتلا الفعل المضارع (أبكي) فعلٌ مضارعٌ (أَبلُّ) مجردٌ من القرائن ، دالٌّ على الحال، وذَكَرَ ابن العَرَنْدَس ألفاظًا تُؤَكِّدُ بُكاءَهُ بمدمَعٍ شديد الحمرة كناية عن البكاء على الإمام الحسين عليه السلام، والكناية هنا بمثابة الدَّليل الذي يلجأ إليه المُخاطِب لإقناع المتلقّي أو السّامع بألفاظه المجازيّة، إذ يستغني عن ذِكْرِ اللفظ الحقيقي بذِكْر لازمة له أو صفة من صفاته؛ لينتقل من دلالة مُصَرَّح بها إلى دلالة ضمنيّة[٤٣]. ومما يمكن قوله إنّ الشاعر قصَدَ إثارة عواطف السّامعين باستعمال فعلين مضارعينِ متتابعينِ ومتلاحقينِ أحدهما مؤكَّد والآخر خالٍ من القرائن، وهو ما يؤديّ إلى تأسيس الأرضيّة المشتركة أو المحافظة عليها والتّضامن مع المخاطَبينَ والمشاركة في الأتراح صورة من صورها، بإنجاز أفعال التعازيّ؛ لأنّ هذه الأفعال تُقَلِّل من وطأة المُصيبة[٤٤] .

٣- فَمَتَى بَشِيْرُ الوَصْلِ يَأْتِي مُنْجِحًا وَأَبِيْتُ مَسْرُوْرًا سَعِيْدًا مُقْبِلا[٤٥]

جاءَ الفعلُ (يأتي) مجرَّدًا من القرائن، وهو دالٌّ على الحال. وفطنَ ابن الأثير(ت ٦٣٧هـ) إلى رأيٍ باصرٍ قال فيه:« اعلم أنّ الفعل المستقبل إذا أُوْتِيَ به في حالة الإخبار عن وجودِ الفعل كان ذلك أبلغَ من الإخبار بالفعل الماضي وذاك؛ لأنّ الفعل المستقبل يوضّح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة، حتى كأنّ السّامع يشاهدها»[٤٦]، وأشار د. إبراهيم السامرائي إلى أنّ الفعل المضارع:« حدثٌ جرى وقوعه عند التكلُّم واستمرَّ واقعًا ... كما لو أنّك قلت: أراك في حَيْرةٍ من أمْرِكَ، فقال لي: أحْسَبُك مُدْرِكًا أَمْرِي »[٤٧]. والفعل المضارع دلّ على دلالتين؛ الأولى: الدلالة النّحويّة التي تتضمَّنُ المستقبل، والثانية: دلالة الانتقال إلى الحال بعامل التّجرّد من القرائن ليحكي الحال. وألحَقَ ابن العرَنْدَس الفعل المضارع (يأتي) بفعل مضارع آخر (أبيت) وهو خالٍ من القرائن؛ ليدلَّ على الحال كذلك، هاته النّسقيّة في تتابع الأفعال وهذا النَّظْم موجودٌ في الألفاظ على كلِّ حالٍ، ولا سبيلَ إلى أنْ يُعقَلَ الترتيب في المعاني ما لم تنتظِم الألفاظ ولم تُرَتِّبْها على الوجه الخاص، ويمكن أنْ نتصوّرَ حال اللفظ مع اللفظ حتى نضعَه بجنبه أو قبله ، وأنّ هذه اللفظة إنَّما صَلحَتْ ههنا لكونها على صفة معيّنة، ولأنّ معنى الكلام والغرض فيه يوجب هذا الوضع، ولأنَّ مَعنَى ما قبلها يقتضي معناها[٤٨]. والنظر الفاحص في سياق البيت الشعريّ المذكور آنفًا يوضِّح أنَّ سُؤالَ الشَّاعِرِ أَفضَى إلى إنجازِ فعلين متلاحقينِ ومتتابعينِ يحملان قوة استفهاميّة، إذ طابق هذا القول (السؤال) القصد بصورة حرفيَّةٍ، بمعنَى توافق العلاقة بين التركيب والوظيفة التواصليّة، أو التطابق بين معنَى الجملة ومعنى القول[٤٩]. ويظهر أنَّ التلاحقَ هنا غَرَضُهُ المبالغة في المدح والتأكيد.

المبحث الثاني : دلالةُ الأَفْعَالِ المُتَشَابِكَةِ في القَصِيْدَةِ اللَّامِيَّةِ :

عند قراءتنا الفاحصة للقصيدة الاميّة في ديوان ابن العَرَنْدَس وجدنا مجموعة من الأفعال المتشابكة؛ أي المختلفة في الزمن التي لها دلالة في نفس المتلقّي في ظلِّ المعنى الذي قصده الشاعر، وأنَّ ترتيبَ الأفعال في الجملة له أثرٌ مُهمٌّ في إظهار الدّلالة عند السّامع، وكذلك فإنّ عكس هذا الترتيب إنّما يكون لغرضٍ وقصدٍ ودلالةٍ، جاءت الأفعال المتشابكة في لاميّة ابن العَرَنْدَس الحِلِّيِّ على النحو الآتي:

أوّلًا: الفعل الماضي لحقه فعلٌ مضارعٌ:

١ - أَضْحَى يَمِيْسُ كَغِصْنِ بَانٍ فِي حُلَى قَمَرٌ إِذَا مَا مَرَّ فِي القَلْبِ حَلا[٥٠]

عند النظر الباصر لما ورد في البيت الشعريّ نجد أنّ الشاعر استعمل في مدحه فعلًا ماضيًا ناسخًا هو (أضحى) وأتبعه بفعلٍ مضارعٍ يدلّ على التّجَدُّد والحدوث هو (يَمِيسُ)؛ أي إنّه لمّا مرَّ ذِكر الإمام الحسين عليه السلام بقلب الشاعر سَكَنَ وأقامَ كالذي يتمايل ويتبختر وهو في كلِّ ذلك حَسَنٌ جميلٌ كالقمر المضيء، وممّا يمكن قوله إنَّ اختلاف الصِّيغ الفعليّة في البيت دلالة على القدرة اللغوية في صُنْعِ تراكيبَ نَحويَّةٍ تدلُّ على الفصاحة والبلاغة، إذ: « إنّ العدُول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلّا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخّاه في كلامه إلّا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطَّلع على أسرارهما، وفتَّش عن دفائِنِهما، ولا تجد ذلك في كُلِّ كلام، فإنّه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقّها فهمًا، وأغمضها طريقًا»[٥١].

وهذا ليس غريبًا على ابن العَرَنْدَس العارف بضروب البيان وأصول الفصاحة، زِدْ على أنَّ الجَمْعَ بينَ الدلالات الزمنيّة للأفعال يُعدّ ضربًا من صيغ البلاغة في سَرْدِ الأحداث وشدّ انتباه المتلقّي إلى صِفَاتِ الممدوح ومقامه الرفيع عند الله سبحانه وتعالى وعند النَّاس. فَضلًا عن ذلك أنّ هذه العلاقة في التحوّل بين الصِّيغ الفعليّة

تهتم بجميع شروط الخطاب، وتعتمد أُسلُوبًا في فهمه وإدراكه بدراسة كيفية استعمال اللغة وبيان الأشكال اللسانيّة التي لا يتحدَّد معناها إلَّا بالاستعمال، وشرح سياق الحال والمقام الذي يؤدي فيه المتكلّمون خطاباتهم(٥٢). وتستمد الدلالة التركيبية قوَّتها من إقامة علاقات نحويّة بين الألفاظ في الجمل وفاقًا لقوانين اللغة، فالوقوف على النَّص والتفقُّه بالأساليب، وتحليل النَّص تساعد على كشف النَّص وتوضيحه وتفسيره واستخراج طاقاته، فغاية التَّركيب أو النَّحو لا تكون في الإعراب والبناء فحسب بل بالكشف عن تفاعل العلاقات وطاقاتها في النَّصِّ اللُّغَويِّ(٥٣).

٢- وَصَفِيَّةٌ قَد كُدِّرَتْ بَعْدَ الصَّفَا ودُمُوعُها تَرْوِي المَلَا بَيْنَ المَلا(٥٤)

نلحظ في ظلِّ البيت الشِّعريّ أنّ الشاعر استعمل في الشطر الأوّل فعلًا ماضيًا مبنيًّا للمجهول؛ لتحقير الفاعل، ولا يريد ذكره لدناءته وخِسَّتِه، وهو من الاقتصاد اللغوي الذي يزيد النّص قوة مفضية إلى السُّرعة في الوصول إلى المطلوب وبلوغ المراد، وأنّ الفعل الماضيّ سُبِق بـ(قد) الدال على تحقيق الفعل في الزمن القريب(٥٥). وألحق الشاعر الفعل الماضي بفعلٍ مضارعٍ مبنيٍّ للمعلوم الدال على الحال، وهذا الانتقال من المبني للمجهول القائم على الاقتصادِ اللغويّ والقوّة والتأكيد إلى المبني للمعلوم وما يحوي من وفرة لغويّة فيه دلالة على السّعة في الكلام قد يكون المراد منه دَفْع السَّأم والملل والسير على نمطٍ واحدٍ فيما لو استعمل الشاعر فعلينِ ماضيينِ، أو مضارعينِ، إذ استعمل ابن العَرَنْدَس فعلين متشابكينِ في الصيغة والزمن؛ ليجعل المتلقِّي مترقِّبًا قوله ومنتظرًا ما تحمله مفرداته من معانٍ، ومما يحسُنُ قولُه إنّ هذا التحوّل في الصِّيغة الزمنية من الماضي إلى المضارع يؤدي معنى أبلغ ودلالة أقوى وإنجازًا أوسع، وسمّى الزمخشريّ (ت ٥٣٨هـ) هذا التحوّل بـ(حكاية الحال)، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾(٥٦)، قال: « وقُرِئَ: أرسل الريح، فإنْ قُلْتَ: لِمَ

جاء فَتُثِيرُ على المضارعة دون ما قبله، وما بعده؟ قلتُ: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السَّحاب، وتستحضرُ تلك الصُّور البديعة الدّالة على القدرة الرَّبانية، وهكذا يفعلون بفعلٍ فيه نوع تمييزٍ وخصوصيةٍ، بحال تستغرب، أو تهمّ المخاطَب، أو غير ذلك »[٥٧]. وهو ما يجعل المُتلقِّي يعيش أحداثَ حكايةِ الأفعالِ كأنَّ السَّامعَ شاهدٌ على زمن وقوع الفعل، إذ الماضي يمكن أنْ يُعَبّر عنه بالحاضر وهو دلالة الفعل المضارع، وهذا الاستعمال شائع في الحكاية يُسمّى بـ(الحاضر التاريخي)[٥٨]. فالسيِّدةُ صفيَّة – إحدى بنات الإمام الحسين عليه السلام – عَكِرَ عيشها ، وصعُبَتْ أيّامها بعد أنْ كانت منعَّمَة، وأيّامها سهلة، وحياتها سَلِسَلة في ظلِّ وجودِ أبيها الإمام الحسين عليه السلام، فضلًا عن ذلك أنَّ دُمُوعَها كالنَّهْر الجاري الذي يرتوي منهُ الملأُ. وتظهر أهمية المعنَى في ضَوءِ تَرتيبِ الكلامِ واتِّسَاقِهِ، فَعَدَمُ الترتيبِ والاتِّساق يُؤدِّي إلى فسادِ المعنَى وخَلَلِهِ، فَنَرَى اتِّسَاعَ الاهتمام بالمعنى من جهة الاهتمام بالجملة، التي كان يعدها بعض الباحثين أهم وحدات المعنى، وأهم من الكلمة نفسها، إذ لا يوجد معنى منفصل للكلمة، بل معناها في الجملة[٥٩]. ومّما لاشكَّ فيه أنّ الشاعر كان قاصدًا هذا التحوّل، فهو الفَطِنُ اللبيب العارفُ بأصول البلاغة والخائضُ سِبْرَ أغوار العربية .

ثانيًا : الفعل المضارع يلحقه فعلٌ ماضٍ

١ – فَتَخَالُ طَاءَ الطَّعْنِ أَنَّى أُعْجِمَتْ نُقَطًا وَضَادَ الضَّرْبِ كَيْفَ تَشَكَّلا[٦٠] .

إنَّ الدلالة التركيبية تتعلَّق بالمهام والوظائف والأدوار التي تقوم بها الوحدات اللّغويَّة داخل بِنْيَةِ النَّص من جهة تصنيفها وإيضاح طرائق بنائها ونوع العلاقات التي تربط عناصر بنائها، فهي مهمةُ الأداءِ الوظيفيِّ التّامّ للوحداتِ اللغوية داخل نصوص التراكيب، فلكلٍّ من الاسم والفعل دلالة خاصّة، إذ يُعدّانِ من العناصر الرئيسة في المنظور النُّطقي للّغة إلى جانب بقية الروابط[٦١]. فاستعمل الشاعر الفعل المضارع المجرد من القرائن الدّال على الحاضر (تخال)؛ أي إنّ الإمام الحسين عليه السلام طعن

أعـداءه طعنـةً تخالها وتحسـبُها نقطًا توضِّح العـدو وتزيل كلّ إبهام عنه وتكشـفه، كما تُزيـل النقـطُ والحركاتُ الُعجمةَ والإبهـامَ عن الكتاب، وألحق الفعـل المضارع بفعلٍ ماضٍ مبنيٍّ للمجهول (أُعْجِمَتْ).

إنَّ الاختلافات القائمة في الصِيَغ داخل الأقوال تهدفُ إلى تحقيق وظيفة القول تواصلًا أو إقناعًا، وهاته الاختلافات هي المِيزةُ الحقيقيةُ في العمليات التخاطبيّة ليس بعدِّها تنوّعات قوليّة في الشـكل والمضمون، بل بعدِّها اختلافات تحكمها ضرورات ترتبط بالمعارف والخلفيّات السّـياقيّة والثقافيّة التـي يتوافر عليها الذِّهن البشريّ[٦٢]. ويُسْتكشَـفُ أنّ الشـاعر اسـتعمل صيغة الفعل المبنيّ للمجهول؛ لأنَّهُ مِنَ الأساليب المهمـة في العربية؛ إذ إنَّ العـربَ يميلون إلى الإيجاز والاقتصـاد اللغوي في خطاباتهم دون الخلل بالمعنى والدّلالة، وهذا الأسـلوبُ هو أسـلوبٌ اقتصاديّ إيجازيٌّ، فضلًا عـن أنَّ لـه دلالاتٍ مُعْجِباتٍ أُخَـرَ تَتَمَثَّـلُ في التَّوكيد والتّعجّـب والاقتصاد اللغويّ الذي يولِّدُ سرعة الحدث والوصول إلى المطلوب، وأنّ هذا الأسـلوب يجعل المتكلِّم يَفِـرُّ من التّكرار، وليس ابن العَرَنْدَس بِدعًا من العربية، إذ هو العالم بصرفها ونحوها وبلاغتها، وهو قاصدٌ لجميع ما ذُكِر آنفًا.

٢- فَلَأَلْعَنَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ ما حَدَا الـــ ـــحَادِي وَمَا سَرَتِ الرَّكَائِبُ قُفَّلا[٦٣]

إنّ العاطفـة الصّادقـة للشـاعر المنبثقـة من لهيـب قلبه وإخلاصـه في حبِّه لأهل البيـت عليهم السلام وحزنـه عليهم، ولِمَا جـرى عليهم في كربلاء جعلهُ يسـتعملُ أَلفاظًا تقطُرُ لوعةً وأسًـى وشدّةً وبأسًا بحق أعداء أهل البيت عليهم السلام، وفي ظلِّ ذلك استعملَ الفعل المضارع(ألعـن) وهو الطرد والابتعاد عن رحمـة الله(عزّ وجلّ) المتّصِل بنون التوكيد، إنّ مجـيء نون التّوكيد على الرغـم من اختصارها البالغ فهي بمنزلة القَسَـم، وبمنزلة قَـولِ المتكلِّم للمتلقّي إنّي أُؤكِّد كلامي، وأتشـدَّدُ في مضمونه في المسـتقبل، وأحرصُ على أنْ تُصدِّقه، أو بمنزلة تكرار ذلك الكلام وإعادته لتحقيق غرضه السابق، وكذلك

فـإنّ زيـادة النون على آخر الفعـل تفيد معنى الجملة قوة وتكسـبه تأكيدًا، إذ تبعد عنه الاحتمال السابق، وتجعله مقصورًا على الحقيقة الواضحة من الألفاظ دون ما وراءها من احتمالات[٦٤] . وابن العَرَنْدَس يؤكِّدُ أنّه سـوف يكرر ويجَدِّد لعن بني أميّة ما دام حيًّـا، وألحق الفعل المضارع (ألعن) بفعلٍ مـاضٍ هو (حدا)، والفعل الماضي دالٌّ على التأكيد والثبوت. ونلحظ في ظلّ ما مرَّ آنفًا أنّ الشاعر برَع في التعبير عن حجم الأسى واللوعة والحزن عند استعمال الأفعال المتلاحقة والمتتابعة على الرّغم من اختلافها في الزمن والدلالة وهو من الأسـاليب التي كان يسـعى في ضوئها إلى إيصال ما يؤمن به وما يحسّـه إلى السَّـامعين بلغة مؤثّرة وأسـلوب بليغ، وهو ما جعل شعره خالدًا مؤثِّرًا في سامعيه ومتلقّيه.

٣- وَعَلَتْ بِمَدْحِكَ يا عَلِيُّ وَوازَنَتْ لَمْ أَبْكِ رَبْعًا للأَحِبَّةِ قَدْ خَلا[٦٥]

لم يكتـفِ الشـاعر برثـاء الإمام الحسـين عليه السلام في قصيدتـه اللاميّة، بـل كانَ لأبيه الإمـام عليه السلام نصيب بالذِّكر وهو الذي يسـتحق المـدح والثناء والذكر، فصدح الشـعر بِمَدحِـهِ لأمـير المؤمنين عليه السلام وعـلا. ونلحظ في ظلِّ البيت الشـعريِّ أنّ ابـن العَرَنْدَس استعمل الفعل المضارع (أبكِ) مسبوقًا بأداة نفي وجزم وقلب (لم)، فدخول (لم) على الفعـل المضارع يقلب دلالته إلى الزمن الماضي[٦٦]؛ أي (ما بكيت)، وأشـار ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) إلى أنّ المضـارع المنفيّ بـ(لم ، ولمّا) مـاضي المعنى بلا خلاف[٦٧]، وألحق الفعـل المضـارع بفعلٍ ماضٍ هـو (وازن)، وهذا الانتقال في الخطاب الشـعريّ الذي ينجزه المتكلّم يتوجه إلى قصدٍ ويؤمُّ غايةً محددةً في ظلِّ التأسيس لأفعال كلاميّة أكبر، ذلـك أنّ المتكلّم حين ينحتُ لنفسـه صورة المـدح لرجل عظيم يكـون تتابع الأفعال فيهـا والانتقـال من فعل إلى آخـر ومن زمن إلى زمن واسـتعمال الأقوال بقصد خدمة هـذا الغـرض، ولذلك فـإنّ الإمسـاك بالنتيجة الكبرى من شـأنه أنْ يدلنـا ويوجهنا توجيهًـا دقيقًا نحو الإلمام بأخلاق الشـاعر وصورته الشـعريّة أو هويته التلفظيّة التي

تخدم المقصد وتدعم النتيجة التي تنتظم الخطاب ككل[٦٨]. وقد أَجادَ ابنُ العرَنْدَس في إيصال غَرَضِهِ في المَدحِ وإظهارِ حُبِّهِ وعِشقِهِ لأهلِ البيتِ (عليهم السلام) إلى المخاطب بألفاظ وَرَدَتْ على نَسَقٍ بليغٍ مُتَتابعٍ ومُتلاحقٍ، انتَقَى في ضَوئهِ كلماتٍ قريبةً ومُحَبَّبَةً إلى ذِهنِ المتلقّي.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة في القصيدة اللامية في ديوان ابن العرندس تبيّن لنا ما يأتي:

١- أبان البحث أنّ التلاحق جاء بمعنى التتابُع أو التّدارُك أو التواليّ أو الترادف، واستعمله النحويون القدماء بمعنى الاتباع.

٢- تنوعت صور التلاحق الفعليّ في القصيدة اللاميّة بين الأفعال المتشابهة والأفعال المتشابكة، إذ بلغ عدد الأفعال في القصيدة اللاميّة (مئةً وأربعة وستينَ) فعلًا، أمّا الأفعال المتشابهة، فكانت أكثر من الأفعال المتشابكة، إذ بلغ عدد الأفعال المتشابهة (مئةً وستّة وعشرين فعلًا)، منها اثنانِ وخمسونَ فعلًا ماضيًا لحقه اثنانِ وخمسونَ فعلًا ماضيًا، وأحدَ عشَرَ فعلًا مضارعًا لحقه أحدَ عشَرَ فعلًا مضارعًا. وأمّا الأفعال المتشابكة، فكانت ثمانيةً وثلاثين فعلًا، منها أربعة عشَرَ فعلًا ماضيًا لحقه أربعة عشر فعلًا مضارعًا، وخمسة أفعالٍ مضارعةٍ لحقها خمسة أفعالٍ ماضيةٍ.

٣- تَبَدّى لنا أنّ ابن العرَنْدَس استعمل التلاحق الفعلي لإنجاز أفعالٍ ذواتِ حمولاتٍ دلاليّةٍ متناسقةٍ ومترابطةٍ تدلّ على الاستفهام والنِّداء والمدح والتّأكيد والمبالغة، فضلًا عن ذلك أنّ للتلاحق دلالات التَّجَدُّدِ والحدوث.

٤- بيّن البحثُ أنّ التحوّل في الصِّيغِ الفعليّة أدَّت إلى ظاهرة تقليب الكلام وتعدُّد الأوجه الدلاليّة، وهي ظاهرة تدلّ على ذكاء الشاعر في التعبير والفهم.

٥- أُسْتُبين لنا أنّ الشاعر استعمل بعض الأفعال المتلاحقة المبنية للمجهول الدّال على الاقتصاد اللغوي، للوصول بسرعة إلى المطلوب، والدلالة على القوة والمبالغة

والتّأكيد ودفع السَّام والملل عن المُتلقِّي.

٦- استعمل الشاعر أفعالًا تقطُرُ لوعةً وألمًا وشدَّةً للتعبير عن حزنهِ ولوعتهِ لِمَا جرى على أهل البيت عليهم السلام في كربلاء .

٧- أظهر البحث أنّ التلاحق في الأفعال المتشابكة يكون لنوع خصوصية اقتضت ذلك، ولا يؤدِّيها إلّا مَنْ له خبرة ومعرفة بأساليب الفصاحة والبلاغة .

الهوامش

(١) ينظر : ديوان صالح ابن العَرَنْدَس الحِلِّي: ٢٠ .

(٢) الطليعة : من شعراء الشِّيعة : ١/ ٤٢٠ .

(٣) البابليات : ١ / ١٤٤ .

(٤) ينظر : فقهاء الفَيحاء : ٢ / ١٠ ، وديوان ابن العَرَنْدَس الحِلّي : ٢١ -٢٢ .

(٥) ينظر : مراقد المعارف : ١ / ٧٤ ، والبابليات : ٣ / ١٢٦ .

(٦) ينظر : البابليات : ١/ ١٤٧ ، وتاريخ الحِلَّة : ٢/ ١٠٧ .

(٧) ينظر : الطليعة : ١/ ٤٢٥ ، والغدير في الكتاب والسُّنّة والأدب : ٧/ ١٤، وأعيان الشيعة : ٣٦/ ٢٣٨.

(٨) مراقد المعارف : ١/ ٧٣ .

(٩) مقاييس اللغة : ٥/ ٤٢٠ ، مادة (نَسَقَ).

(١٠) لسان العرب : ٨ / ٢٧ ، مادة (تَبِعَ) .

(١١) القاموس المحيط : ١ / ٧٠٦ ، مادة (تَبِعَ) .

(١٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ٦ / ٢٢٨٩ ، مادة (تَلَا) .

(١٣) مقاييس اللغة : ١ / ٣٥١ ، مادة (تَلَا).

(١٤) تهذيب اللغة : ١٤ / ٦٨ ، مادة (رَدَفَ) .

(١٥) مقاييس اللغة : ٢ / ٥٠٣ ، مادة (رَدَفَ) .

(١٦) لسان العرب : ١٠ / ٣٢٧ ، مادة (لَحَقَ) .

(١٧) ينظر : تهذيب اللغة : ١٤ / ٦٨ ومقاييس اللغة : ١/ ٣٥١ ، ولسان العرب : ١٠/ ٣٢٧ .

(١٨) الشافية في علم التّصريف : ٥ .

(١٩) ألفية ابن مالك: ١/ ١١.

(٢٠) ديوان ابن العَرَنْدَس الحِلّي : ٩١.

(٢١) كتاب سيبويه : ١/ ١٢ .

(٢٢) شرح المفصل : ٤ / ٢٠٧ .

(٢٣) ينظر : مناهج البحث في اللغة: ٢١ .

(٢٤) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٨ .

(٢٥) اللغة (فندريس) : ١٣٨.

(٢٦) ينظر : دلالة الفعل الماضي في التوصيف القرآني لبني إسرائيل ، المجلة الأردنيّة في الدراسات الإسلاميّة ، مج١٥ ، ع ١ ، ٢٠١٩ م : ٢٩٩ .

(٢٧) ديوان ابن العَرَنْدَس الحِلّي : ٩٥.

(٢٨) ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ٢٢٨ .

(٢٩) ينظر : الظواهر البلاغية وأثرها الأسلوبي في شعر ابن العرندس الحِلِّي ، مجلة المحقق ، مج ٤، ع ٩ ، ٢٠١٩ م : ١٦١- ١٦٢ .

(٣٠) ينظر : بلاغة الإتقان في تراكيب القرآن دراسة لسانيّة في البنية والمحتوى : ٣٣ .

(٣١) ديوان ابن العَرَنْدَس الحِلِّيِّ :٩٧.

(٣٢) ينظر: الأفعال الكلاميّة الإنشائية في شعر الأمير عبد القادر الجزائريّ (مقاربة تداوليّة) عيسى بربار ، مجلة الآداب واللغات ، ع ٤ ، ٢٠١٦م : ١١٩

(٣٣) ينظر : الظواهر البلاغية وأثرها

الأسلوبي في شعر ابن العرندس الحِلِّي : ١٥٢ .

(٣٤) ينظر : علم الدلالة : ٧٠ .

(٣٥) ينظر : الظواهر البلاغية وأثرها الأسلوبي في شعر ابن العرندس الحِلِّي : ١٥٢ .

(٣٦) ديوان صالح ابن العَرَنْدَس الحِلِّيّ : ٩٥.

(٣٧) ينظر : علم الدّلالة : ٧٠ .

(٣٨) ينظر : النحو الوافي : ١/ ٢٥٥ .

(٣٩) ديوان ابن العَرَنْدَس الحِلِّيّ : ٩٦.

(٤٠) كتاب سيبويه : ٣/ ١٠٥ .

(٤١) ينظر : شرح المفصَّل : ٥ / ١٦٣ .

(٤٢) ينظر : النحو الوافي : ٤ / ١٦٨ .

(٤٣) ينظر : الحجاج في قصيدة (في القدس) لتميم البرغوثي : ٧٢ .

(٤٤) ينظر : استراتيجيّات الخطاب : ٣١٠ .

(٤٥) ديوان ابن العَرَنْدَس الحِلِّي : ٩١.

(٤٦) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢/ ١٤٥ .

(٤٧) الفعل زمانه وأبنيته:٣٢ .

(٤٨) ينظر : دلائل الإعجاز في علم المعاني: ٥٢- ٥٣ .

(٤٩) ينظر : الأفعال الكلاميّة في شعر الأمير عبد القادر الجزائري : ١١٦ .

(٥٠) ديوان صالح ابن العَرَنْدَس الحِلِّيّ : ٧٥.

(٥١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢ / ١٢ .

(٥٢) ينظر : التداوليّة وتنوّع مرجعيات الخطاب حدود التواصل بين لسانيات الخطاب والثقافة : ٣٦-٣٧ .

(٥٣) ينظر : البحث الدلالي عند السيّد محمد محمد صادق الصدر (ت ١٤١٩هـ): ١٩١ .

(٥٤) ديوان ابن العَرَنْدَس الحِلِّيّ : ١٠٢ .

(٥٥) ينظر : المنصف في شرح كتاب التصريف : ٢٩٤ ، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع : ٢ / ٥٩٦ .

(٥٦) سورة فاطر : ٩٠ .

(٥٧) الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣/ ٦٠١ .

(٥٨) ينظر : اللغة (فندريس) : ١٣٨ .

(٥٩) ينظر: علم الدلالة : ٣٤.

(٦٠) ديوان ابن العَرَنْدَس الحِلِّي : ٩٩ .

(٦١) ينظر : علم اللسانيات الحديثة مع محاولة تأصيليّة في الدرس القديم: ٥٣٠.

(٦٢) ينظر : عندما نتواصل نغيِّر ، مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التواصل والحجاج : ١٩٦ .

(٦٣) ديوان ابن العَرَنْدَس الحِلِّي : ١٠٣ .

(٦٤) ينظر : النحو الوافي : ٤ / ١٦٨ .

(٦٥) ديوان ابن العَرَنْدَس الحِلِّيّ : ١٠٩ .

(٦٦) ينظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : ١ / ٣٧ .

(٦٧) ينظر : شرح تسهيل الفوائد : ١ / ٢٧ .

(٦٨) ينظر : التحليل الحجاجي للخطاب : ٥٥٧- ٥٥٨ .

المَصادرُ والمَراجعُ

- القرآن الكريم

-استراتيجياتُ الخطاب مقاربة لغوية تَدَاوُلِيَّة: د. عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد ، ط١ ، ليبيا ، ٢٠٠٤ م .

- أعيانُ الشيعة : السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) ، تحقيق حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت .

- ألفيةُ ابن مالك : جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائيّ الجيَّانيّ (ت ٦٧٢هـ)، دار التعاون.

- البابلياتُ أو شعراء الحِلّة : الشيخ محمد علي اليعقوبيّ ، المطبعة العلميَّة ، النجف الأشرف، ١٩٥٥م.

- بلاغةُ الإتقان في تراكيب القرآن دراسة لسانيّة في البنية والمحتوى : د. محمد الغريسي ، عالم الكتاب الحديث ، الأردن ، ٢٠١٨ م .

- تاريخُ الحِلَّة : الشيخ يوسف كركوش الحِلِّيّ، المكتبة الحيدريّة ، ط١ ، إيران ، ١٩٨٣ م .

- التحليلُ الحجاجي للخطاب (بحوثٌ مُحكَّمة) : تقديم وإشراف د. أحمد قادم ، ود. سعيد العواديّ ، دار كنوز المعرفة ، ط١ ، الأردن، ٢٠١٦ م .

- التداوليَّةُ وتنوّع مرجعيات الخطاب حدود التَّواصُلِ بين لسانيات الخطاب والثقافة : د. عبد الفتّاح يوسف ، عالم الفكر ، ط١ ، الكويت ، ٢٠٠٤ م .

- تهذيبُ اللغة : محمد بن أحمد بن الأزهريّ الهرويّ (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، بيروت، ٢٠٠١م .

- دلائلُ الإعجاز في علم المعاني : عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانيّ (ت ٤٧١هـ) ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

- ديوان ابن العَرَنْدَس الحِلِّيّ (ت ٨٤٠ هـ): جمع وتحقيق ودراسة د.عباس هاني الجراخ، مركز العلامة الحلي، بابل، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م .

- الشافيةُ في علم التصريف، أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، ابن الحاجب المالكي (ت٦٤٦هـ)، تحقيق حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية ، مكة، ط١، ١٩٩٥م.

- شرحُ تسهيل الفوائد : محمد بن عبد الله بن مالك الطائيّ الجيانيّ (ت ٦٧٢هـ) ، تحقيق د. عبد الرحمن السيد ، مطبعة هجر ، ط١ ، ١٩٩٠م .

- شرحُ المفصَّل : يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ) ، تقديم د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠١م .

- الصحاحُ تاج اللغة وصحاح العربية : : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهريّ (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العِلم للملايين، ط٤ ، بيروت ، ١٩٨٧م .

- الطَّليعةُ من شعراء الشَّيعة : الشيخ محمَّد طاهر السماويّ (ت ١٩٥٠هـ) ، تحقيق كامل سلمان الجبوريّ ، دار المؤرِّخ العربيّ ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠١م .

- علمُ الدَّلالة ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، ط٦ ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .

- علمُ اللسانيات الحديثة مع محاولة تأصيليّة في الدرس القديم : د. عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء للنشر ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

- عندما نتواصل نغيِّر ، مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التواصل والحجاج : عبد السلام عشير ، مطبعة الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٧ م .

- الغديرُ في الكتاب والسُّنَّة والأدب : عبد الحسين أحمد الأمينيّ النجفيّ ، دار الكتاب العربيّ، ط٤ ، بيروت ، ١٩٧٧ م .

- فتحُ البَريّة في شرح نظم الأجروميَّة : أحمد بن عمر بن مساعد الحازميّ ، مكتبة الأسديّ، ط١، مكة المكرمة ، ٢٠١٠م .

- الفعلُ زمانه وأبنيته ، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٠م .

- فقهاءُ الفَيحاء : السيِّد هادي كمال الدِّين ، مطبعة الزَّين . الحِلَّة ، (د. ت) .

- القاموسُ المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، مؤسسة الرسالة ، ط٨ ، بيروت ، ٢٠٠٥م .

- الكتابُ : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٨٨م.

- الكشَّافُ عن حَقائقِ غوامض التنزيل : جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشريّ (ت ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، ط٣ ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

- لسانُ العَرَبِ : محمد بن مكرم بن عليّ ابن منظور الأنصاريّ (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، ط٣ ، بيروت ، ١٤١٤هـ .

- اللغةُ : فندريس ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ،المركز القومي للترجمة ، ط١ ، القاهرة، ٢٠١٤ م .

- المثلُ السائرُ في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدِّين بن الأثير نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ) ، تحقيق د. أحمد الحوفيّ ، دار نهضة مصر، القاهرة ، د. ت .

- مراقدُ المعارف : الشيخ محمد حرز الدِّين (ت ١٣٦٥هـ) ، تحقيق محمد حسين حرز الدِّين ، النجف الأشرف ، ١٩٦٩م .

- مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب : جمال الدِّين بن هشام الأنصاريِّ ، تحقيق د. مازن المبارك وعلي حمد الله ، دار الفكر، بيروت ، ١٩٧٢م.

- مقاييسُ اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا القزوينيّ الرازيّ (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، ١٩٧٩م .

– مناهـجُ البحـث في اللغة : د. تمام حسـان ، دار الثقافة ، المغرب ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م .

– المنصـفُ في شرح كتـاب التصريـف : أبـو الفتـح عثمان بن جني الموصليِّ (ت ٣٩٢هـ) ، دار إحياء التراث القديم ، ط١ ، ١٩٥٤م .

– النحو الوافي : عباس حسن ، دار المعارف، القاهرة.

– همـعُ الهوامـع في شرح جمع الجوامـع : عبد الرحمـن بـن أبي بكر جـلال الدين السـيوطيّ (ت ٩١١هــ) ، تحقيق : عبـد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، (د. ت) .

الرسائل والأطاريح :

– البحـثُ الـدلاليُّ عنـد السـيِّدِ مُحَمَّـد صـادق الصـدر (ت ١٤١٩هــ) ، رحيـم كريـم الشريفي ، أطروحة دكتوراه ، إشراف أ. د. رحيم جبر الحسناويّ ، جامعة القادسية ، ٢٠٠٧م .

– تقنيـاتُ الحِجَـاجِ في قصيـدة (في القـدس) لتميـم البرغوثي : صفاء منيب، وخديجة هزرش، إشراف أ. د. إبراهيم بشَّـار ، رسـالة ماجسـتير ، جامعة محمد خضير بسكرة ، الجزائر ، ٢٠١٩م.

الأبحاث والدّوريّات :

– الأفعالُ الكلاميّة الإنشـائية في شعر الأمير عبد القـادر الجزائـريّ (مقاربة تداوليّة): عيسـى بربـار ، مجلة الآداب واللغات ، ع ٤ ، جامعة برج بوعريريج ، الجزائر ، ٢٠١٦م .

– دلالـةُ الفعـل الماضي في التوصيـف القرآني لبنـي إسرائيـل : د. عـماد الدين نايف الشـمريّ ، المجلـة الأردنيّـة في الدراسـات الإسـلاميّة ، مج ١٥، ع ١ ، ٢٠١٩م.

– الظواهرُ البلاغيةُ وأثرُها الأسـلوبيّ في شعر ابن العرندس : د. أحمد جاسم مسلم الخيال ، مجلة (المحقق) ، مج ٤ ، ع ٩ ، ٢٠١٩ م .